

الخطبة رقم ١٥

غزوة بدر الكبرى ودروس النصر

الخطبة الأولى والخطبة الثانية التابعة لها

من كتاب خطب الحمد والثناء

الحمد لله القدير العليم العزيز الحكيم منزل الكتاب وهازم الأحزاب
أحمدته تعالى كما أمر وأشكره على آلائه واستغفره من كل ذنب أو
خطيئة .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة المسلم
المستيقن بها منطوقاً ومفهوماً .. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
المبلغ عن الله وعده ووعيده صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أما بعد أيها الناس : في ليلة الجمعة وفي اليوم السابع عشر من
رمضان من السنة الثانية للهجرة كانت معركة بدر الكبرى وكان
يوم الفرقان يوم التقى الجمعان .. جمع المؤمنين من المهاجرين
والأنصار يقدمهم محمد صلى الله عليه وسلم وجمع الكافرين من
صناديد قريش يقدمهم فرعون هذه الأمة أبو جهل عليه لعائن الله..
وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرادها حرباً اقتصادية ليقطع
المدد من قريش حيث علم بقدوم عير من الشام محملة بالبضائع
برعاية أبي سفيان بن حرب ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم
في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ومعهم سبعون بعيراً كانوا
يتعاقبون عليها وفرسان ولم يتأهبوا لحرب أو دار في خلدتهم
نشوب معركة مع قريش أو غيرها بل ولم يخرج من الصحابة إلا
من كان حول النبي صلى الله عليه وسلم وسمع بدعوى النفير في
حينها وكان ظهره حاضراً ولكن الله أرادها حرباً ضروساً

وأرادها نصراً وفتحاً للمؤمنين وكان ما أراد الله كوناً وقدرأ ، فلما علم أبو سفيان بن حرب بخبر النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى قريش يستنجدهم ويخبرهم الخبر فثارت النعرة الجاهلية وتحركت النخوة العربية فأعلنت قريش الحرب وخرجت بحدها وحديدها وكانوا ألفاً أو يزيدون وأخيراً جاء الخبر بنجاة العير وسلامتها من يد المسلمين . فقال قائل قريش لقد سلمت العير فلا داعي بحرب محمد ، وكما أشار بذلك أبو سفيان ، ولكن الطاغوت الأكبر أبو جهل قال قولته المشهورة والله لا نعود حتى ننحر الجزور ونشرب الخمر وتضرب القيان الدف ويعلم العرب مكانتنا ، فلبئس ما قال لقد أضل قومه وما هدى ، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بعزم قريش وعددها وعدتها جمع الصحابة واستشارهم فتكلم المهاجرون وأحسنوا ، ثم استشارهم ثانياً فتكلم المهاجرون وأحسنوا ، ثم استشارهم ثالثاً ، ففهم الأنصار أنه يعينهم فبادر سعد بن معاذ فقال لعلك تخشى أن يكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا تتصرك إلا في ديارهم وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فاطعن حيث شئت وصل جبل من شئت واقطع جبل من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت وما أمرت فيه من أمر

فأمرنا تبع لأمرك. والله لو سرت حتى تبلغ البرك من غمدان
لنسيرن معك ، وقال له المقداد لا نقول لك كما قال قوم موسى
لموسى أذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، ولكننا نقاتل
عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك، فأشرق وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمع من أصحابه، قال سيروا
وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، وإني قد رأيت
مصارع القوم ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ،
وقال أشيروا علي في المنزل فقال الحباب ابن المنذر يا رسول
الله أنا عالم بقلبها إن رأيت نسير إلى قليب قد عرفناها فهي كثيرة
المياه عذبة ، فنزل عليها ونسق القوم إليها ونغور ما سواها من
المياه ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأي الحباب ،
فلما طلع المشركون وتراء الجمعان قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، اللهم هذه قریش جاءت بخيلها وفخرها تحاربك وتكذب
رسولك فقام ورفع يديه واستغفر ربه، وقال اللهم أنجزني ما
وعدتني ، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، فالتزمه الصديق من
ورائه ، وقال له: يا رسول الله أبشر فو الذي نفسي بيده لينجزن
الله لك ما وعدك ، واستتصر المسلمون الله واستقأوه وأخلصوا له
وتضرعوا إليه ، وأوحى الله إلى ملائكته إني معكم فثبتوا الذين

آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، وأوحى الله إلى رسوله أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها . وفي صبيحة اليوم دارت رحى الحرب وحمي الوطيس وتمخضت المعركة عن قتل سبعين وأسر سبعين من المشركين ، وكان من جملة القتلى أبو جهل وشيبة وعتبة أبناء ربيعة والوليد وأمّية بن خلف عليهم من الله ما يستحقونه ، ومن المسلمين استشهد أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وستة من الخزرج واثنان من الأوس .

أيها المسلمون : شتان بين الفريقين وهيئات الاتفاق بين الجبهتين، كانت الخطوط العريضة لأهداف الحرب عند أبي جهل وقومه أن تتحرر الجذور ويشرب الخمر وتضرب عليهم الدف وتعلم العرب مكانته ، وفيهم يقول الله سبحانه وتعالى: (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) .

ولكنها عند المسلمين بعيدة المدى عميقة الجذور والأصول لأعلى المقاصد وأنبأ المطالب ألا وهي عبادة الله ونصرة دينه وإرغام الكافرين على الحق وقبوله . فاتقوا الله عباد الله وترسموا خطا

نبيكم صلى الله عليه وسلم في سلمكم وحربكم وعسركم ويسركم ،
وحاربوا الشر جملة واحدة ، حاربوا بدعية الاعتقاد ، حاربوا
شبهة الاقتصاد ، حاربوا مهزلة الفكر والإلحاد ، وليتمايز المسلم
بعبادته ربه وخلوده لشرعه ، واستنكار كل جاهلية أو وثنية في
صورها المتعددة وأشكالها المتصارعة .

اللهم أنصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين ، اللهم أقم علم الجهاد
في سبيلك وانظم سلك المؤمنين المجاهدين تحت راية توحيدك يا
أرحم الراحمين نشكو إليك قوة الفاجر وضعف المؤمنين ، اللهم
قونا بطاعتك وانصرنا على من ناوئنا واعتدى على محارمك ،
اللهم سل سخيمة صدورنا وأعدنا من شرورنا ، ربنا آتنا في
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

الحمد لله الذي أوضح معالم السبيل وأبان لأهل الحق الدليل وهدى
من شاء من عباده ، فهو الهادي إلى سواء السبيل ، وأشهد أن لا
إله إلا الله رب العرش الكريم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين .

أما بعد أيها الناس : قد يسري في أذهان بعض من الناس أن
الإسلام نديد الحرب أو شقيقه ، وأن السلام لا يتفق مع حمل

السلاح البتة ، وهذا ما يوصم به دعاة الكفر بالإسلام ، وهو من هذا براء ، ولو عرفوا الإسلام كما هو لما علق هذا الفكر الممزوج بداء الإلحاد في ذهن منصف أو متعقل فضلاً عن مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكن مشروعية القتال في الإسلام جاءت لإزالة الوثنية وتحرير الإنسانية من ربقة العبودية لغير الله عز وجل ، وهذه غاية الرسالات السماوية والدعوات النبوية، ولصيانة الحق والذب عن حياضه ، فتستعمل الطاقة أياً كانت من البيان أو السنان ، وقد يكون لكف الظلم وحماية النفس والأوطان، فمنطلق القوة آية في الإبداع وروعة في إحلال الأمن والسلام وتسوية الناس في الحقوق المشتركة وصدق الخليفة عثمان رضي الله عنه حينما قال: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" .

فاتقوا الله عباد الله واحذروا دسائس أهل الكفر من أجراء الضمير وفاقدى الإيمان . وخذوا العبرة من صفحات التاريخ تهتدوا لأقوم السبل وأوضح منهاج ، إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .

فهذه ذكرى بدر ، تضيء كواكب الأرض بنورها الوضاء وترسم أذكى الخطوات للدولة الإسلامية في هدى الإسلام في الحرب ،

ويتبعها خطوات تستأصل شأفة الشر وتقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فإذا هو زاهق ، وويل لهم مما يصفون ، فهل لنا في
ذكرها عظة ومن تذكرها عبرة ، اللهم إن الجهاد في سبيلك غاية
كل مسلم والاستشهاد تحت راية توحيدك أغلى أمانيه ، اللهم أحينا
سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة الأولياء . اللهم صلي
على محمد وعلى آل محمد وأرضى اللهم عن الصحابة والتابعين
وعن كل من تبعهم إلى يوم الدين .

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ، فاذكروا الله
العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر
والله يعلم ما تصنعون.